زيلندا الجديدة

إن الظاهرة التي تستأثر بالعناية عند ذكر زيلندا الجديدة انما هي ظاهرة الانشاء السراني والارتقاء الاجتماعي السريعين الصحيحين . فقد اختبرت زيلندا الجديدة في نحو قرن قصة العمران الحديث التي استغرقت في اوربا الغربية او تزيد . فالحياة في زيلندا الجديدة كانت في أوائل القرن الماضي الى قرب منتصفه حياة العصر الحجري ، فاذا هي اليوم أتم ما تكون استكمالاً لمقومات الحضارة الحديثة في الصناعات والمخاطبات والمواصلات والصحة والتعليم والنظم السياسية الدمقراطية والاحوال الاجتماعية

وقد احتفلت زيلندا الجديدة نفسها ، ومعها جامعة الأمم البريطانية ، من سنتين بانقضاء قرن كامل على حدث خطير في تاريخها . ذلك الحدث هو معاهدة ويتنجي Waitangi ومقتضاها اتفق سكان تلك الجزائر الأصليون ، واسمهم الموري Maori مع الانكليز على جعل زيلندا الجديدة جزءاً من الامبراطورية البريطانية ، ثم مضت في سبيل الارتقاء حتى غدت — بحسب قانون وستمنستر — أمة مستقلة في نطاق جامعة الأمم البريطانية

هذا الارتقاء الطرد لم يكن خلواً من عقبات تعترض سبيله . ولكن كل عمل ملاءمة في حياة الافراد والجماعات ، يحتاج الى بذل وتضحية ويقتضي شيئاً من الالم ، وقد خرجت السلالتان الانكليزية والموية من هذه الحوادث ، والصلة بينهما موثقة لأنها تحولت الى صلة الفهم المتبادل والاحترام لخصائص الفريقين

وجميع الذين زاروا تلك البلاد في العهد الحديث يعترفون بأن أول ما يسترعي نظرهم فيها ، هو التعاون الودي بين السلالتين ونبذ الشعور بتفوق احداهما على الأخرى وتعاظمها . فقد حلت المشكلة بالتفاهم والتعاون وحسن النية . فالمحاكم مفتحة ابوابها أمام سكان زيلندا الأصليين سواء أمدّعين كانوا أم مدعى عليهم ، والعدل يجري بالقسطاس على الجميع . وجميع وسائل المواصلات ممهدة لهم لا فارق بينهم وبين الغربيين الذين نزلوا في تلك البلاد . ومتاعد

المسارح مباحة لهم يجلسون فيها جنباً الى جنب مع اخوانهم في هذا الوطن الجديد. وكذلك مناصب الحكومة ومقاعد النيابة والوزارة . ولعل أدل الدلائل على هذا التصافي ان صفوف الجيش النيوزيلندي تجمع بينهم فتطبع هذه العدة بطابع الدم . وقد نزل فريق مشترك منهم مصر في الحرب العالمية الماضية ثم جاء فريق آخر الى الشرق الأدنى من سنتين

عندما عقدت معاهدة وايتنجي من مائة سنة وسنتين كان عدد سكان المهاجرين الانكليز نحو الفين . فزاد عددهم الى أقل قليلاً من مليون ونصف مليون وسلالة الوردي في زيلندا الجديدة آخذة كذلك في الزيادة لان الدولة هناك تعنى عناية خاصة بتوفير أسباب الصحة والنمو لها . في سنة ١٩١٦ كان عددهم نحو خمسين الفاً فبلغ سنة ١٩٢٨ خمسة وستين الفاً وكان قبل سنتين الى ثلاث أقل قليلاً من ٩٠ الفاً

***

أما الصورة التي تخرج بها من وصف البلاد الجغرافي، فهي صورة جنة من جنات الارض

فزيلندا الجديدة جزيرتان كبيرتان في المحيط الهادي الجنوبي ، موقعهما في القسم الجنوبي من الكرة الارضية كموقع بر الاناضول واليونان وايطاليا في القسم الشمالي منها ، حيث خط العرض . ولو كانت ايطاليا قائمة وحدها لكانت في النصف الشمالي من الارض كزيلندا الجديدة في النصف الجنوبي . طول هاتين الجزيرتين معاً من الشمال الى الجنوب نحو ١١٠٠ ميل ومساحتهما اكثر من مائة الف ميل مربع او مثل مساحة ايطاليا . وتتبعهما جزائر اخرى صغيرة ومجموع مساحة الجزيرتين الكبيرتين والجزائر الصغيرة التابعة لهما ١٠٤ آلاف ميل مربع يقابلها ١١٠ آلاف ميل مربع لايطاليا وصقلية وسردينيا

والجزيرتان كثيرتا الجبال وفيهما كثير من الانهر والبحيرات والسهول والحراج . وكانت اوضاعهما كلها مغطاة بالحراج قبل ان يدخلها الاوربيون ويعملوا الفأس فيها ، ولا تزال حراجها كثيرة واشجارها كبيرة ضخمة صلبة الخشب

تسمى الجبال في الجزيرة الجنوبية جبال الالب الجنوبية ويبلغ ارتفاع اعلاها ١٢٣٤٩ قدماً عن سطح البحر ، والثلج يغطي فمن أكثرها على مدار السنة . وتنحدر منها انهار جمد او ثلاجات كما تنحدر من جبال الالب في اوربا . ولكن انهار زيلندا الجديدة أكبر وهناك اودية عميقة وغدران كثيرة وشلالات يندر وجود مثلها في السكونة في جمال موقعها وفخامة منظرها

وقد لقيتها جماعة من أهلها من الاوربي الأصل ومن الشرقيين الذين هاجروا اليها او زاروها من استراليا ؛ فسمعتهم يتغنون بمدحها ويقولون انهُ لا أجمل منها بقعة ولا أطيب من هوائها هواء ؛ وان مناظرها مثل مناظر سويسرا بل بعضها أجمل وأغرب . في الجزيرة

الشمالية منطقة بركانية فيها بحيرات حارة الماء ماؤها يغلي غليانًا ويطبخ به الطعام لشدة حرارته . وفي الجنوبية جبال شاهقة تحيط ببحيرات بلورية الصفاء ، وعلى ساحل البحر خلجان صافية الماء تطلّ عليها ٥ واهق وعلى مقربة منها شلال منحدر ارتفاعه ١٩٠٠ قدم

***

كشف هذه الجزائر في منتصف القرن السابع عشر سنة ١٦٤٢ وكاشفها رحالة هولندي يدعى ابل تسمان ، واليه تنسب جزيرة تسمانيا القريبة من استراليا . وهو الذي سماها زيلندا الجديدة ، ومعنى الاسم الاوض البحرية الجديدة . ولكن ذكرها ظلّ مطويًّا وأخبارها مجهولة ، حتى زارها كوك الرحالة الانكليزي في سنة ١٧٦٩ وهي السنة التي نبهت العالم بمقربين من عباقرتها العظام نولبون بونابرت ، ومحمد علي الكبير . ثم تردد كوك عليها مراراً وطاف حولها وامتلكها باسم الملك جورج الثالث ملك الانكليز ، وأدخل اليها بعض الحيوانات لتربيتها فيها وبعض المزروعات النافعة كذلك . ووجد سكانها الاصليين — وهم الموري — أصحاء الابدان يأبون الضيم ويحمون حماهم ويذودون عن حوضهم . وأرجف عنهم أنهم يأكلون لحوم أسراهم فهابهم البحارة وانقطعوا عن الذهاب الى تلك البلاد من حين زارها كوك الى سنة ١٨١٤ وحينئذٍ دخلها واعظ يدعى مارسدن لأجل دعوة أهلها الى المسيحية وبنى كنيسة وتبعه غيره فلم تمض ثلاثون سنة حتى تنصر السكان جميعهم وجعل الاوربيون يفدون اليهم للتجارة . وفي سنة ١٨٤٠ وقع الحادث التاريخي الذي أشرنا اليه عندما اجتمع شيوخ الموري وزعماؤهم وقبلوا عقد معاهدة مع الكابتن هوبسون ممثل الملكة فكتوريا . وعندما عرضت المعاهدة أعلن الكابتن هوبسون ان الملكة تعرض عليهم جميع حقوق رعاياها البريطانيين ومزاياهم . ومما يدل على استقلال الموري على الرغم من تأخر حياتهم الاجتماعية حينئذٍ ان ترجمة المعاهدة تليت عليهم فتناقشوا فيها طويلاً قبل توقيعها . وبمقتضاها أصبحت زيلندا الجديدة جزءاً من الامبراطورية البريطانية

ومما يستوقف النظر في هذه المعاهدة وما تلاها ان الحكومة البريطانية اعترفت بامتلاك السكان الاصليين لجميع الاراضي التي قالوا إنها لهم ولم تؤخذ منهم أرض إلاّ ما تنازلوا عنه عن اختيارهم أو ما باعوه بالثمن

ولكن البلاد واسعة جداً ولا سيما اذا قيست بعدد سكانها ، فمساحتها أكثر من ستة وستين مليوناً من الافدنة ، ثلثاها أو أكثر من الثلثين قليلاً اراض زراعية ومراعٍ خصبة ، وسكانها الاصليون الى قبل سنتين لم يزيدوا على تسعين الفاً وسكانها الذين من أصل اوربي لا يبلغون الآ مليوناً ونصف مليون على الأكثر

ويضاف الى هذا ان الانكليز الذين هاجروا اليها جاءوها على العالب من أسر عريقة . جاءوها اولاً اما تجاراً فاستوطنوا ، واما مغامرين فاستقروا ، واما لأن الأرض الجديدة ضاقت بهم فطلبوا حياة جديدة في أرض جديدة فوجدوها هنا . ففي زيلندا الجديدة نحبة من السلالة الانكليزية الكلتية Anglo-Celtic قطعت البلاد بقيادتها ومعاونة سكانها الاصليين شوطاً بعيداً نحو مثل المعيشة القومية الكاملة . فالصحة فيها متوفرة الاسباب . اقليم معتدل وعناية تامة . ان معدل وفيات الاطفال فيها أقل منه في أي بلد آخر في العالم . واحتمال طول الحياة فيها يبلغ ٦٣ سنة وهو كذلك أطول معدل في العالم . واذا قيست منتجاتها الزراعية بمساحتها صح عليها القول بأنه « معمل ألبان الامبراطورية » . واذا نسب عدد ما فيها من الأغنام الى مساحتها فإن معدلها يفوق معدل استراليا تسع مرات . انك تجد ربع أغنام العالم في هذه البلاد الصغيرة . ولعلها كانت أسبق الامم الى منح النساء حق التصويت والانتخاب . فقد منحن حق التصويت سنة ١٨٩٣ ثم منحن حق الانتخاب لعضوية مجلس النواب سنة ١٩١٩ . ثم ان الحكومة تنفق كل سنة نحو ثلاثة ملايين جنيه على التعليم في شتى انواعه ، مع ان عدد السكان لا يكاد يبلغ مليوناً ونصف مليون . حالة انها انفقت على الدفاع البحري والبري في سنة ١٩٣٤ — ١٩٣٥ أقل من مليون قليلاً . وللتعليم في زيلندا الجديدة ان يفاخر العالم بعبقرية علمية من الطبقة الاولى في العصور الحديثة لانه أنجب ارنست وذرفورد الذي رحل الى انكلترا بعد تخرجه وتوسع في دراسة العلوم الحديثة في كمبردج ثم درّسها في كندا ومنشستر فلندا عند عودته الى كمبردج استاذاً للطبيعة واكبر زعماء الباحثين العصريين في أسرار الذرة وتركيبها

***

موارد البلاد الاقتصادية عظيمة . وهي زراعية في المقام الأول . الماشية والاغنام فيها كثيرة تعد بعشرات الملايين . وصناعة الالبان متقنة متسعة . وجزة الصوف السنوية تضعها جنباً الى جنب مع استراليا في مقدمة بلدان العالم انتاجاً للصوف . وتبلغ قيمة ما تصدره من الصوف والزبدة واللحم المثلوج والجبن ٣٥ مليوناً من الجنيهات كل سنة او تزيد

وأشهر معادنها الذهب ، بل ان البحث عن الذهب فيها كان من عوامل زيادة سكانها في النصف الثاني من القرن الماضي ، ومع ان انتاجه قل الآن عما كان عليه . الا ان ما استخرج منه في سنة ١٩٣٤ بلغت قيمته مليوناً وثلث مليون من الجنيهات ومنها الفضة والنحاس

ولكن الذي يهمنا في زيلندا الجديدة ولعلنا اكثر مما تعنينا مواردها الطبيعية هو بعض العبر المستخرجة من حياتها الاجتماعية . فثمة اولاً عناية دقيقة شاملة بالصحة الفردية

والعامة . حتى غدت قلة معدل الوفيات بين جمهور الشعب، وبين الاطفال، مضرب المثل في دوائر العالم الصحية . ثم هناك المعاشات التي اقرتها الحكومة للشيوخ والعجائز والارامل وملوائف من المهال والمحاربين القدماء . ففي قانون صدر سنة ١٨٩٨ وعدل مراراً بعد ذلك يعطى كل نيوزيلندي توافرت فيه شروط معينة معاشاً سنوياً قدره ٤٣ جنيهاً اذا كان دخله السنوي لا يزيد على ٤١ جنيهاً . ففي بلد هذا نظامه يجب أن يكون مستوى المعيشة عالياً حتماً . ثم هناك نظام خاص لاعانة الاطفال اذا كان دخل الاسرة التي يولد فيها الطفل غير كاف للعناية به على أوفى وجه وتنشئته أطيب تنشئة ، ولهذه المسائل قوانين ولوائح تجعل التشريع الاجتماعي في زيلندا الجديدة من أرقى وأوفى ما عرف في العصر الحديث

وقد بلغ عدد الذين استفادوا من المعاشات بأنواعها التي توزعها الحكومة طبقاً لقوانينها ولوائحها من شيوخ وعجائز وأرامل ومعدمين وغيرهم ٨١ الفاً — من مليون ونصف مليون — في سنة ١٩٣٥ وبلغ مجموع ما نالوه في تلك السنة ثلاثة ملايين ونصف مليون من الجنيهات ، ومجموع ما تنفقه الحكومة على المعاشات والتعليم والصحة يبلغ نحو ثمانية ملايين من الجنيهات من ميزانية قدرها ٢٥ مليوناً أي ان ثلث الميزانية ينفق في هذه الاغراض الاجتماعية النبيلة

وعلاوة على ما تقدم كانت زيلندا الجديدة أول بلد في العالم حاول ان يفض المنازعات الخاصة بعمال الصناعة بواسطة المحاكم فعرفت بوصف البلد الذي لا يحدث فيه اضراب

***

أما نظامها السياسي فيلخص في أنها ظلت مستعمرة بريطانية الى سنة ١٩٠٧ عندما تحولت من طبقة المستعمرات الى طبقة بلاد الدومنيون المستقلة في نطاق جامعة الأمم البريطانية ، ففازت باستقلالها الداخلي وتدبير شؤونها . وبعدما وضع مبدأ قانون وستمنستر في سنة ١٩٢٦ وأقر في قالبه القانوني النهائي في سنة ١٩٣١ غدت زيلندا الجديدة، كاستراليا وكندا وجنوب أفريقية ، دولة مستقلة بكل معنى الكلمة لا يربطها بالمملكة المتحدة « أي انكلترا وويلز واسكتلندا وشمال أرلندا » وسائر بلدان الدومنيون الا رابطة الولاء للتاج البريطاني ممثلاً شخصياً في الحاكم العام . فعلاقة الحاكم العام بحكومة البلاد ومجلسها النيابي ، كعلاقة الملك في لندن بحكومة انكلترا وبرلمانها ؛ أي أنه يعمل بمشورة حكومته المؤيدة من حزب الأكثرية في البرلمان . وليس لبريطانيا او لاحد بلدان الدومنيون سلطان على بلد آخر منها في شأن ما من شؤون السياسة الداخلية والخارجية